كلمة التحرير

ثلاثون عاماً مضت: من إسلامية المعرفة إلى الفكر الإسلامي المعاصر

إبراهيم محمد زين*

الحمد لله الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بُعث معلماً ومتمماً لمكارم الأخلاق

لقد صدر العدد الأول من مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة) يونيو/ حزيران 1995 الموافق المحرم 1416 وبذلك تكون المجلة قد أكملت عامها الثلاثين في مسيرة علمية زاخرة بالإنتاج العلمي المتجدد في سمته ومحتواه. وقد أحدثت لغة علمية أثرَت المجال الفكري في طريقة صياغتها للأسئلة القوية والكبرى ولن نجانب الصواب إن قلنا: إنها كانت رائدة في دفع مجالات التجديد والإصلاح والابتكار العلمي إلى آفاق أوسع لتحصيل معان أكثر جدة وطرافة.

وطالما أن الكلام عن العدد الأول لمجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة) فقد تزامن صدور العدد الأول ببعض التوجّهات الجديدة للمعهد مع بداية رئاسة الدكتور طه جابر العلواني؛ فقد أعاد ترتيب أطروحاته الأساسية وفقاً لمنهجية القرآن المعرفية القائمة على الجمع بين القراءتين: قراءة الكون وقراءة الوحي، ثم القول بالمحاور الستة والتي تلخص الأهداف لتنشأ مقولات علمية للتعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي، بالإضافة إلى كيفيات التعاطي مع المنجزات الحضارية المعاصرة والتي اختصرت لأول أمرها في الحضارة الغربية. وحرر هذه المعاني الدكتور طه جابر العلواني في مقالته الافتتاحية للعدد الأول للمجلة تحت عنوان "لماذا إسلامية المعرفة؟". ولا شأن لنا بالخوض في تقويم ذلك العمل الرائد في هذه السانحة، ولكن نلفت انتباه

* زين، إبراهيم محمد (2025). "كلمة التحرير: ثلاثون عاماً مضت: من إسلامية المعرفة إلى الفكر الإسلامي المعاصر"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، مجلد 31، العدد 110، 5-10. DOI: 10.35632/citj.v31i110.14963

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2025

القارئ للكيفية التي ختم بها مقالته تلك قائلاً: "إن أهمية هذه القضية (يقصد إسلامية المعرفة)؛ بل ضرورتها تجعل الأساتذة والمفكرين وطلاب الدراسات العليا خاصة أمام واجباتهم الرسالية؛ وفي مواجهة الدور الخطير الذي عليهم أن يضطلعوا به، وتجعل من البحث العلمي والمعرفي رسالة"، ثم يبين لنا الغاية النهائية من هذا السعي المعرفي والقيمي والوجودي من إسلامية المعرفة في أنها "تستطيع أن تخرج عالم اليوم بالقرآن من الظلمات إلى النور وتضع البشرية من جديد على صراط العزيز الحميد".

وقد صدر هذا العدد الأول في رحاب الجامعة الإسلامية العالمية –ماليزيا، والتي كان يؤسس برامجها الدراسية ونظامها الأكاديمي وتخطيطها العمراني الدكتور عبدالحميد أبو سليمان؛ فكأن الجامعة كانت هي المختبر العملي لتحقيق المشروع الإصلاحي الذي تولّى المعهد التبشير به، وكأن النقد العلمي الجريء الذي بثّه الدكتور عبد الحميد أبو سليمان في كتابه الرائد في مجاله "أزمة العقل المسلم" كان الطريق العملي والعلمي للخروج من ذلك، وهو النظام العلمي الذي تبنّته الجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا في مجملها وفي كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية أو (كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية) فيما يخص إحداث التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، والتوجّه المستقبلي لصياغة علوم الأمة التي تستجيب لمشاكلنا وتقدم نموذجاً علمياً فريداً لدراسة الإنسان والاجتماع البشري ومناهجه العلمية وإنجازاته التقنية.

ومن عجائب الأمور أن الأخ الصديق محمد الطاهر الميساوي أمين تحرير مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة) آنذاك أراد التفرغ لإنجاز درجة الدكتوراة، فطلب منه ترشيح من يخلفه فرشّح الأخ الصديق دكتور محمد بن نصر لذلك، وحينما جاء إلى ماليزيا وعرض الأمر على الدكتور عبد الحميد أبو سليمان والذي يبدو أنه كان يفكر في إصدار دورية علمية باللغة العربية عرض على الدكتور محمد بن نصر أن يؤسس مجلة علمية بعنوان (التجديد)، لتكون لسان حال الجامعة والسبيل لربط الجامعة بالمهتمين بالإصلاح الفكري والتجديد العلمي والحضاري، وكذلك عرض نموذج الجامعة والتي تُعدُّ الترجمةَ العملية لأفكار المعهد العالمي للفكر الإسلامي. وكل ذلك قد اتضح جلياً

في الافتتاحية التي كتبها للعدد الأول من مجلة التجديد، والذي صدر بتاريخ رمضان 1417 الموافق يناير/ كانون الثاني 1997، فقد ذكر الدكتور عبدالحميد أبو سليمان في تلخيصه لقضية إسلامية المعرفة من أنها قضية منهجية في المقام الأول، ولذلك هي تنظّم مصادر المعرفة ومناهجها وغاياتها قائلاً "فالوحي مصدر للقيم والغايات والعقل والمنهج العلمي مصدر لمعرفة الطبائع والوقائع؛ إعمالاً للإمكانات واستجابة للحاجات والمتغيرات وتوليداً لما يناسب من الحلول والبدائل" وقد لا يبدو ثمة فرق جوهري بين هذه الصياغة لمعنى الجمع بين القراءتين ثم يختم الافتتاحية ببيان للتوجّه العام للمجلة "إن هذه المجلة وهي تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية؛ إنما يراد لها أن تعبّر عن هذه الخطة وهذا المنهج (في الإصلاح والتجديد)، وأن تكون منبراً لكل مثقف ذي فكر حرّ مبدع ومجدد؛ وهي تدعو كل الأساتذة والعلماء والمثقفين المستنيرين الأحرار من رجال المعرفة والتجديد أينما كانوا للمشاركة بأبحاثهم فيها؛ إحياء لروح التجديد والاجتهاد والإبداع؛ وأداءً لحق الاستخلاف وحباً في حمل أمانة الإصلاح في الأرض و الإحسان إلى الناس".

فلئن كانت مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة) هي الحاملة لرسالة المعهد باللغة العربية، فإن أختها الشقيقة مجلة التجديد هي لسان حال التجديد الذي أحدثه المعهد في أروقة التعليم العالي، وأخرج نموذجاً عملياً للتعليم الجامعي، وفقاً لرؤية المعهد. ولا شكّ أن رسالة المعهد كما عبّر عنها كلاهما الشيخ طه جابر العلواني والدكتور عبد الحميد أبو سليمان في افتتاحيتي المجلتين منفتحة على الجميع، ولا تنعزل في ركن جغرافي من العالم، وإنما هي خطاب شامل لكل الإنسانية.

كانت تلك مقدمة لازمة للقول: إن الفكر الإسلامي المعاصر يمثل إحدى المحاولات الجادة لإعادة وصل ما انقطع بين العلم والعمل، وبين المعرفة والواقع، وبين المنهج والقيم. إنه فكر يتّسم بسِعة في النظر، لا يحاصر نفسه بإطار دوغمائي، ولا ينـزوي في زاوية من زوايا التخصص الضيق. بل ينهض على رؤية تكاملية ترى أن قضايا الإنسان ومشكلاته لا تُفهم إلا من خلال الجمع بين المعرفي والمنهجي، والنفسي والاجتماعي، والسياسي والروحي، في أفق يوسّع المدارك ويحرر الفكر من قبضة الإيديولوجيا وأحادية النماذج.

لقد كان من أبرز سمات هذا الفكر -في أنضج تجلياته- ذلك الربط المتين بين سؤال المعرفة، وسؤال الأخلاق، وسؤال الفِعل. فليست المعرفة غاية لذاتها، بل هي هادٍ للفِعل، وموجّه للضمير، وضابط للسلوك الحضاري للأفراد والمجتمعات. وهذا ما تكرّسه مجلة الفكر الإسلامي المعاصر في أعدادها المتلاحقة، وفي هذا العدد على وجه الخصوص.

ففي المقال المتميز المعنون بـ"الحضور السياسي في النصوص التأسيسية للإسلام والمسيحية"، يحاول الباحث الدكتور نايف بن نهار تفكيك البنية السياسية في النصوص التأسيسية لكل من الإسلام والمسيحية من خلال قراءة مقارنة عميقة. الإضافة العلمية تتجلى في كونه لا ينطلق من فرضيات استشراقية أو تصورات جاهزة، بل يُعيد تأويل النصوص من داخل منطقها اللاهوتي والتاريخي، مستكشفاً كيف تشكّل الفهم السياسي في كل منظومة دينية. يَكشف المقال عن اختلاف جوهري بين الدينين في طبيعة العلاقة بين المقدّس والسياسي، حيث يظهر الإسلام ديناً مؤسِّساً لكيان سياسي حضاري، في حين تتسم النصوص المسيحية الأولى بنـزعة انسحابية ولا سلطوية. هذا التفكيك يقدم نموذجاً معرفياً لدراسة النصوص التأسيسية بوصفها أنساقاً حية لا تُفهم إلا في سياقها البنيوي والتاريخي. وعلى الرغم من أن الكاتب لم يرجع إلى النصوص المتصلة بالمسيحية في لغتها الأصلية إلا أن الترجمات التي اعتمدها تفي بالمطلوب من جهة علمية.

أما مقال "إشكالية العلاقة بين العمل الدعوي والسياسي" فيتناول فيه الدكتور محماد رفيع الإشكال التاريخي والمنهجي في التداخل بين النشاطين الدعوي والسياسي. وتكمن الإضافة المنهجية في إعادة تأطير العلاقة بين المجالين ضمن تصور مقاصدي يُراعي الوظائف المستقلة والمتكاملة لكل حقل. يقترح الباحث مفهوم "الفصل الوظيفي الدستوري"، بصفته حلاً يحقق التكامل دون الوقوع في هيمنة أحد المجالين على الآخر. كما يجمع البحث بين تحليل الخطاب التأصيلي والنقد البنيوي، ليؤسس لوعي جديد في الممارسة الإسلامية والمجتمع العلمي حول العلاقة بين الدين والسياسة في المجال التداولي المعاصر. وكان ذلك الهمّ الشاغل للدكتور عبد الحميد أبو سليمان إبان موجة الربيع العربي حتى لا تختلط الأوراق ولا يفقد المشتغلون بهم الإصلاح الثغرة التي يشتغلون عليها.

مقال "سيكولوجية الفن البصري الإسلامي: نحو تربية فنية إسلامية" الذي كتبه د. مازن حمدي عصفور ود. إدهام محمد حنش، يُعاد بناء مفهوم "التربية الفنية" من منظور إسلامي يتكامل فيه الجمالي بالنفسي والتربوي. وتأتي الإضافة المنهجية للدراسة من خلال الدمج بين مقاصد الشريعة (في التزكية والعمران) وعلم النفس الفني، بما يسمح بتأسيس تربية بصرية ذات مرجعية إسلامية، تقوم على الذوق والغاية معاً. كما تُبرز الدراسة أهمية الظاهراتية والتحليل النفسي للفنون الإسلامية في فهم الأبعاد التربوية للفن البصري الإسلامي، من خلال إدراك الأشكال، والألوان، والخطوط بوصفها محفزات معرفية وسلوكية؛ وذلك جانب مهم في تقديم الرؤية الإسلامية الكونية.

مقال "ملامح الموضوعية في علم أصول الفقه" للباحث عبد الأحد والدكتور صالح الزنكي يقدم إسهاماً نوعياً في مساءلة مفهوم "الموضوعية" من داخل المنهج الأصولي الإسلامي، دون استنساخ لمفاهيم حداثية مأخوذة من السياق الغربي. يعيد الباحثان بناء فكرة الموضوعية بوصفها نتاجاً لمنطق العلم ومقاصده في البيئة الإسلامية، لا كحياد فارغ من القيمة. ويقوم المقال بمقاربة تحليلية لبنية المنهج الأصولي، مستخرجاً منه نسقاً معرفياً يتميز بالتوازن بين النص والعقل، وبين الكلّي والجزئي، وبين الثابت والمتحوّل. ومن هنا، تظهر الإضافة المنهجية في تبيئة مفهوم الموضوعية ضمن مرجعية دينية تنظر إلى الفقه بوصفه خطاباً معرفياً أخلاقياً لا يقف عند حدود التقنية أو الآلية. ولا شك أن درس الموضوعية في سمت العلوم الإسلامية عامة وعلم أصول الفقه خاصة، هو توجّه مهم من ناحية معرفية، ويؤسس للنسق من الموضوعية العلمية التي يسترشد بها في البحث العلمي الذي يتغيا فهم النظام الداخلي لتلك العلوم.

يناقش مقال "التكامل المعرفي ونقد التخصصية العلمية" للدكتور محمد الطويل إشكالية التخصص المفرط في الحقول العلمية المعاصرة، وكيف أنه يقف حجر عثرة في وجه أي محاولة لبناء رؤية معرفية تكاملية. يرى الدكتور الطويل أن هذا التخصص الضيق غالباً ما يستند إلى نموذج وضعي تفسيري، يقوم على التجزئة والتفكيك دون وعي بالمقاصد أو بالربط بين فروع المعرفة. وتتمثل الإضافة المنهجية في نقده العميق لنموذج "المعرفة المحايدة" ودعوته لتأسيس خطاب علمي

تكاملي يجمع بين المقاصد والقيم، وبين التفسير والتأويل، وبين العلم والدين، في أفق تحريري يروم بناء علوم إنسانية متجذّرة في المرجعية الإسلامية وتستوعب التعقيد الواقعي. وهذه المنافرة بين التخصصية العلمية والتكامل المعرفي لا بدّ من التنبيه على خطورتها، لا سيما أن الدراسات البينية صارت تتجاوز أطر التخصصية العلمية إلى آفاق معرفية أوسع غاية ومجالاً. ولـمّا كان التكامل المعرفي هو الترياق المعرفي للنموذج الوضعي التفسيري المحدود، فهو بالطبع يفتح أفقاً معرفياً أكثر شمولا في توجهه وغاياته الكبرى.

من كل ما سبق يمكننا القول: إن الفكر الإسلامي المعاصر، كما يتجلّى في هذه المقالات، لا يسعى إلى "أسلمة" أو "تأصيل" المعرفة بصورة سطحية فحسب، بل إلى تحريرها من تحكّمات النموذج الوضعي العلماني الذي يُقصي القيم، ويُسقط الغايات، ويُقدّم الإنسان في صورة مبتورة عن واقعه الروحي والأخلاقي. بل إن هذه المقالات مجتمعة تشكّل محاولة لنحت مفاهيم بديلة، واستعادة المصطلحات في ضوء المرجعية الإسلامية، سعياً إلى إنتاج لغة معرفية أصيلة تكون معبّرة عن الواقع، وفاعلة في تغييره.

وفي الختام، فإن مجلة الفكر الإسلامي المعاصر تواصل دورها بوصفها منبراً للباحثين الذين يحملون همّ الإصلاح الفكري والمنهجي، ويسعون إلى بناء خطاب معرفي يربط بين الحق والخير والجمال في ضوء التوحيد ومقاصد الشريعة العليا.

ونسأل الله التوفيق والسداد